هجرة العقول العربية عامة والعراقية خاصة وأثرها على الواقع الاجتماعي

أحلام محسن حسين
مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

المقدمة

استأثرت ظاهرة هجرة العقول او (الكفاءات العلمية) خلال العقدين الاخيرين باهتمام البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء ، وذلك نسبة لاثارها السلبية والايجابية ، على الواقع الاجتماعي والتنموي في الدول المرسلة والمستقبلة ، وزاد الاهتمام بهذه الظاهرة في البلدان النامية لما ينجم عن هجرة العقول من خسارة البلدان المرسلة للموارد البشرية العالية التاهيل ، واللازمة لتحقيق النمو الاقتصادي ذات المردود الاجتماعي ، ودفع عجلتة ، وتوفير فرص التعليم والتدريب للاجيال الصاعدة ، وقد هدفت الندوة التي نظمتها لجنة الامم المتحدة الاقتصادية لغربي اسيا (الاكوا) في بيروت خلال الفترة من ٥-٨ شباط /فبراير (١٩٨٠) القضايا المتعلقة بهجرة الكفاءات العربية بين دول المنطقة العربية من جهة وبلدان العربية وغير العربية من جهة اخرى(١) .

واشارة (فرجاني) الى ان الهجرة بالنسبة للدول النامية تتمثل بالخسارة في التكلفة التاريخية التي تكبدها المجتمع في تدريب وتعليم المهاجر حتى وقت هجرته ، فلما كانت بلدان الأصل في العالم الثالث فقيرة والتعليم العالي فيها ميزة لايحصل عليها الا النخبة ، وبما ان هذه النخبة (وهي الاقدر ماليا في المتوسط) ،لاتتحمل الا نسبة ضئيلة من تكلفة التعليم العالي ، فالتكلفة المجتمعية لتعليم الكفاءات (العقول) المهاجرة تقع على كاهل الغالبية الفقيرة (٢) ،ويضيف فرجاني ان الاقتصاديين يشيرون الى جانب التكلفة التاريخية ، الى قيم تعبر عن القيمة المالية وقت الهجرة ، والخاصة باجر المهاجر او دخله او إنتاجيته الحدية الخاصة او إنتاجيته الاجتماعية طوال عمر الإنتاجي المتوقع منذ وقت الهجرة . هجرة العقول اكثر خسارة للدول النامية اذا كانت في مجال قطاع التعليم العالي كأساتذة الجامعات والعلماء والفنيين والعاملين في مركز البحوث وبخاصة ان المؤسسات العلمية والبحثية في بلدان الاستقبال تستقطب أصحاب الدرجات العلمية الرفيعة والأفراد الأكثر تاهيلا وخبرة ، مما يؤثر سلبا في النظام التعليمي والاجتماعي والاقتصادي للبلدان المهاجر منها .

تعريف الهجرة

هي نوع من الانتقال الجغرافي او المكاني المتضمن تغيير دائم لمحل الاقامة الاعتيادي بين وحدة جغرافية وأخرى .

التعريف العلمي للهجرة

الذي يعتمد على بيانات التعدد السكاني ، فهو تغيير محل السكن الاعتيادي من وحدة إدارية الى أخرى(٣).

أما تعريف هجرة الكفاءات

هي تسرب الكفاءات ونزيف العقول وما يعنيه ذلك من خسارة مادية واضرار اجتماعية ومخاطر سياسية بل انها تشمل كذلك الخسائر غير المباشرة المتمثلة في المكاسب المادية وغيرها التي تجنيها الدول المستقبلة الكفاءات المهاجرة اليها(٤).

أنواع الهجرة

١. الهجرة الداخلية : او هجرة الناس داخل حدود دولة معينة (الهجرة من الريف الى منطقة حضرية) .

٢. الهجرة الدولية : وهي انتقال الناس من دولة الى اخرى فهي تساعد على الاتصال الحضاري ، وبالتالي الاقتباس الحضاري بين الشعوب والامم(٥) .

لمحة تاريخية عن ألهجره

الهجرة كما بينا سابقا هي الانتقال الجغرافي او المكاني تغيير دائم لمحل الاقامة الاعتيادية بين وحدة جغرافية واخرى .

ومن هنا يمكن ان نبين على سبيل المثال لا الحصر ا ناول انتقالة او هجرة بشرية هي لابونا ادم وامنا حواء عليهما السلام عندما انتقلا من الجنة في السماء الى الارض بسبب مخالفتهما المعروفة لامر الله تعالى قال سبحانة :((وقلنا ياادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها .....فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه ....))(٦)

وكذلك انتقل غيره من الانبياء والرسل والاقوام من مكان الى اخر أي من ارض الى اخرى كما ذكرت المصادر التاريخية والقصص المتعددة لانتقال سيدنا ابراهيم عليه السلام الى فلسطين وكذلك لوط واسماعيل وموسى عندما فرة من فرعون وملائه وعيسى عليهم السلام جميعا ، واخيرا نبينا محمد"صلى الله عليه وسلم" عندما هاجر من مكة الى المدينة مع اصحابه لاسباب متعددة منها دينية وسياسية واجتماعية وامنية ، ولاجل تثبيت الدين والايمان بالله تعالى كما قال سبحانه ((فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم))(٧).

وما يخص ظاهرة هجرة العقول المفكرة عبر التاريخ فهي ظاهرة قديمة وعريقة قدم الانسان وترجع بدايتها الى المراحل الاولى لتطور العلم ، فقد اعدم سقراط بتهمة افساد عقول الشباب فيما ناقش بطريقة غير مالوفة تحديد مفهوم الديمقراطية ،ولهذا ضاقت الدنيا في نفس افلاطون بعد اعدام سقراط فهجر اثينا الى كثير من البلدان هربا من الطغيان والظلم الذي لم يسلم منه (٨).

فلم يخلو زمان من هجرة العلماء سواء بشكل فردي او اجتماعي ولعدة اسباب ، وكان العلم مرتبط بالرحلات الشاقة سعيا وراء المعرفة ولابد ان يهاجر العلماء الى المكان الافضل والاحسن في حالة اقتصادهم لجانب من المعرفة لينالو العلم من ينابيعه الاصليه (٩).

ولكن هجرة العلماء في الماضي كانت ضمن العلم الاسلامي الكبير والرجوع بالنفع الوفير للتقدم والرقي للحضارة الاسلامية في تلك القرون .

ولهذا فالهجرة داخل البلد الواحد لا تدخل ضمن هذا الاطار أي الهجرة بل هو منافا لها .

ويعتبر الباحثون ان الهجرة تشكل عاملا مهما في ازالة الحواجز التقليدية بين اللغات والعادات وتساعد على تدخل اندماج المجتمعات المختلفة مما يقرب بين الثقافات البشرية ويزيد من التعارف بينها .

مراحل الهجرة

مرت هجرة العقول بمراحل مختلفة وكانت لها مردودات متعددة منها تكوين الشخصية واكتساب الخبرة والمعرفة العلمية .

وقد استخدم مصطلح العقول او استنزاف العقول اول مرة الخمسينات عندما اطلق هذا اللقب على هجرة العقول المفكرة من برطانية الى الولايات المتحدة الامريكية ، وتعني ظاهرة هجرة العقول او فقدان الكفاءات بالمفهوم الحديث هجرة المثقفين وذوي الاختصاصات العالية من بلدانهم الى دول تتمتع بمستوى اقتصادي في بلدان العالم الثالث وضمنها العالم العربي والإسلامي(١٠).

وهناك بعض الدول فتحت ابواب الهجرة اليها لاسباب قد تكون اقتصادية كما حصل في الخمسينات عندما فتحت المانيا ابواب الهجرة واستضافت اعداد كبيرة من المهاجرين واستمرت حتى السبعينات لاجل اعادة بناء ما دمرته

الحرب العالمية الثانية . وكذلك شجعت دول الخليج الهجرة اليها خلال فترة الثمانينات لتشغيل البنى التحتية لمجتمعاتها .

ومع ذلك يمكن ان نقسم الهجرة العالمية الى مرحلتين :

الاولى : بدأت منذ عام ١٩٤٥ واستمرت حتى عام ١٩٧٣ بسبب حاجة اوربا الغربية الى العمالة لتسريع برامجها الاعمارية وانتهت هذه المرحلة في عام ١٩٧٣ بسبب ازمة النفط وانقطاعة عن اوربا بعد الحرب العربية الاسرائيلية في رمضان كانون الاول (اكتوبر) من ذلك العام(١١) .

الثاني : التي بدأت في منتصف السبعينات الفترة التي شهدت بها الدول الصناعية نوعا جديدا من الهجرة الغير مبرمجة أي تلك الدول لم تدع علنا للهجرة الاان اعداد المهاجرين اليها لاسباب

اقتصادية وسياسية واجتماعية ازداد بشكل لم يسبق له مثيل ، وطبقا لاحصائيات الامم المتحدة فان اعداد المهاجين في العالم ازداد من (٧٥) مليون شخص في عام ١٩٦٥ الى (١٢٠) مليون في عام ١٩٩٠ ، وفي التسعينات قفز العدد الى (١٥٣) مليون شخص بضمنهم (١٢)مليون لاجيء مسجلين رسميا في منظمة اغاثة الاجئين التابعين للامم المتحدة ، وفي التسعينات بلغت نسبة المهاجرين الى امريكا الشمالية ٨,٦ % واوربا الغربية ٦,١ % أي ان حصة الولايات المتحدة وكندا بلغت حوالي (٢)مليون مهاجر وكانت حصة اوربا حوالي(١٠)مليون مهاجر(١٢)،

وبالرغم من وجود اسباب عديدة تدفع المهاجرين الى الانتقال من الدول الفقيرة الى الدول الغنية الا ان مثل هذه الهجرة ليست المقصودة بالضبط في موضوع بحثنا عن هجرة العقول المفكرة التي كانت ولاتزال تسبب الازمات الاقتصادية في بلدان العالم العربي والعالم الثالث بشكل عام

أسباب الهجرة

ان قرار هجرة العقول والكفاءات العلمية يتميز بالتعقيد وواحد من اهم المشاكل التي تمثل حضورا على المستوى الدولي والاقليمي والعالمي وتعد هذه الظاهرة على رأس الهرم من المشاكل الاجتماعية ويرجع سببه الى خلل في النظام العائلي ا والى العوامل الاقتصادية كتدني الاجور وارتفاع تكاليف المعيشة في الموطن الاصلي ، او خلل مؤسسي كما في النظام التعليمي العالي ، وقد يرجع الى خلل سياسي او امني كعدم امكانية حماية الكفاءات من قبل الجهات الامنية المختصة ، وغيرها من الاسباب الاخرى ، وقد كانت بلدان العالم الثالث من هذا النوع من الهجرة خلال القرن العشرين وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . الا ان نزيف العقول ((brain dran)) لم يلق اهتماما دوليا كبيرا الا في نهاية الستينات وبداية السبعينات بعد ان بدات بلدان غربية مصنعة كانكلترا تفقد بعض كفاءاتها بهجرتها لدول غربية اخرى افضل منها اقتصاديا .

واشارت دراسات حديثة لمنضمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تضم ٣٠ دولة صناعية الى ان المهاجرين يتمتعون بدرجة من التعليم والكفاءة تفوق مستوى الاعمال التي يؤدوها، وانه على البلدان الغنية ان تدمجهم في مجتمعاتها واسواق عمالتها لجني ثمار منافعهم الاقتصادية(١٣).

واستندت دراسات المنظمة ومقرها باريس الى البيانات التي اعدتها كل من دولهاالاعضاء والتي صنفت المهاجرين حسب بلد المنشا ، والعمر ، التعليم ، الوظيفة ، والقطاع الذي يعملون به(١٤).

واما عن مشكلة هجرة الكفاءات العربية فقد اقترح انطوان زحلان مدخلين اساسيين هما :

١. المدخل الفردي : ويركز على خصائص المهاجرين الفردية ودوافعهم سواء من الهجرة او الرغبة في العودة .

٢. مدخل الظروف المجتمعية التي تدفع المهاجرين الى الهجرة او الرغبة في العودة (١٥)

ويرى فرجاني ان تفسير اسباب ظاهرة هجرة الكفاءات(العقول) يتراوح بين مدرستين:

اولهما : المدرسة الفردية التي تعالج اسباب الهجرة من منظور فردي بالاساس مؤداه ان اصحاب العقول افراد متميزون يسعون لتحقيق ذاتهم فكريا ومهنيا او لضمان ظروف عمل ومعيشة مريحة تكفل لهم حرية التفكير وحرية الراي وامكانية الابداع والابتكار .

اما المدرسة الثانية : فانها تنظر الى هجرات الكفاءات من حيث انها ظاهرة دولية تمتد جذورها في اعماق نظام الاقتصاد السياسي الذي يسيطر على العالم في النصف الثاني من القرن العشرين وعليه فان تفسير الظاهرة يكمن في الخصائص الجوهرية للنظام الاقتصادي العلمي وبشكلا خاص تلك المتعلقة بقيام سوق دولية للكفاءات (١٦).

فهجرة الكفاءات العلمية العديدة الى الدول العربية المصدرة للنفط كانت ترجع بالمقام الاول الى عوامل اقتصادية واجتماعية ، ولكنها في التسعينات اخذت منحى مختلفا يرجع الى شبكة متداخلة من العوامل المرتبطة بظروف العمل وشروطه واختياراته وحقوقه ، كما ترتبط بتدهور حقوق الحياة المدنية كتدني الاحوال السياسية والقانونية والامنية وتردي الخدمات الاجتماعية والاحوال المعاشية والخاصة في بعض البلدان كمصر والسودان ولبنان والعراق وغيرها .

انعقد بالقاهرة مؤتمر لمناقشة ظاهرة الهجرة في مركز بحوث الدول النامية بجامعة القاهرة مؤخرا شارك فيه العديد من الباحثين واساتذة الاقتصاد والاجتماع حيث اكد الدكتور عبد السلام نوير مدرس العلوم السياسية بجامعة اسيوط ان الخسائر التي منيت بها البلدان العربية من جراء اجرة الادمغة العربية ١١ مليار دولار في عقد السبعينات وان الدول الغربية هي الرابحة الكبيرة لـ ٤٥٠ الفا من العقول العربية المهاجرة وان الخسائر الاجتماعية نتيجة هذه الظاهرة تقدر بـ (٢٠٠) مليار دولار .

ويرى د. عبد السلام نوير ان خسائر الدول العربية وفي مقدمتها مصر من ظاهرة هجرة العقول فان اسرائيل تستفيد من هذه الظاهرة بفعل الهجرة عالية التاهيل والكفاءة ، ويقول ان مصر تعد الخاسر الاكبر من هجرة الكفاءات من الناحية الكمية ففي امريكا تقريبا ٣١٨ كفاءة مصرية ، كندا ١١٠ ، استراليا ٧٠ وفي برطانيا ٣٥ ، وفي فرنسا ٣٦ ، ٢٥ بالمانيا ، ١٤ في سويسرا ، ٤٠ في هولندا ، ١٤ في النمسا ، ١٢ في اسبانيا وفي اليونان ٦٠ ، وايطاليا ٩٠ ، وتحظى الولايات المتحدة بالنصيب الاكبر من هجرة الكفاءات والعقول العربية ، تليها كندا ثم اسبانيا (١٧).

وتتضمن هذه الارقام مهن وفئات وتخصصات حرجة مثل الطب النووي والعلاج بالاشعاع ومختلف تخصصات الهندسة الالكترونية والنووية وعلوم الليزر والمكرو اللكترونية ، تكنلوجيا الانسجة والفيزياء النووية وغيرها من التخصصات في العلوم الانسانية كاقتصاديات السوق والعلاقات الدولية والعديد من العلماء المتخصصون بهذا المجال .

واشاره د. عبد السلام نوير ان اغلب المهاجرين العرب من اصحاب الكفاءات هم من الطلاب في الجامعات الغربية والمراكز البحثية ولم يعد هؤلاء الطلبة الى بلدانهم الاولية واكدة د. نوير ان مصر من اكثر الدول عانت من هذه المشكلة اذ قدر عدد من تخلف من مبعوثيها في العودة اليها منذ بداية الستينات وحتى بداية عام ٧٥ بحوالي (٩٤٠) مبعوثا أي نسبة ١٢% من مجموع المبعوثين واغلبهم تركز في امريكا وكندا وفرنسا وبرطانيا وتشمل تخصصاتهم في مجال الطب والهندسة والزراعة . ومن مطلع عام ١٩٧٠- ١٩٨٠ لم يعد الى مصر ٧٠% من مجموع مبعوثيها في الولايات المتحدة .

وقدر الجهاز المركزي للتعبئه العامة والاحصاء المصريين المتميزين ان عدد العقول والكفاءات التي هاجرت للخارج بلغ ٨٢٤ الفا حسب اخر احصاء صدر في عام ٢٠٠٣ منهم (٢٥٠٠) عالم وتشير الاحصاءات الى ان مصر قدمت نحو ٦٠% من العلماء العرب والمهندسين الى الولايات المتحدة الامريكية(١٨). اما مظاهر انتقال العقول والمهارات بين السودانيين فهي ظاهرة حديثة فقد بدات في اوائل الستينات وباعداد قليلة عن طريق الانتداب ، او الاعارة للعمل في الدول العربية والافريقية المجاورة وللعمل في المنظمات الاقليمية والدولية لمستشارين وخبراء في مجالات التعليم والصحة والزراعة والادارة والاقتصاد وغيرها . وقد تميزت هجرة الكفاءات انذاك بقلة اعدادها وقصر مدتها ، ففترة الانتداب او الاعارة لاتزيد في اغلب الاحيان على اربع سنوات يعود بعدها المنتدب الى مكان عملة (١٩) ، ولكن خلال الربع الاخير من هذا القرن اخذت هجرة العقول والكفاءات العلمية والمهارات الفنية السودانية على سبيل المثال تزداد وبصورة ملحوظة مما ادى الى نقص في كثير من النشاطات الاقتصادية والقطاعات المهنية بل لاتكاد توجد مهنة واحدة الا وتاثرت بشكل واضح بذلك النوع من الهجرة وتبين احصاءات جامعة الملك اسعود للعام الدراسي ١٩٩٦-١٩٩٧ ان عدد اعضاء هيئة التدريس من السودانيين يبلغ (١٧٢) من الاساتذة والمحاضرين ويمثلون٢١% من اجمالي الاساتذة المتعاقدين ، وتاتي هذه النسبة العالية في المرتبة الثانية بعد النسبة الخاصة بالاساتذة المصريين ، ومن اهم الاسباب المؤدية للهجرة لديهم في تدني الاجور (٢٠) . والذي سنوضحه اجمالا بالنسبة للدول العربية لاحقا .

واشارت (هدى رزيق) الى ان دراسة هجرة اللبنانيين قد تركزت على اصحاب الكفاءات العلمية وتشير الاحصائيات الى ان لبنان قدمت من العلماء والاطباء والمهندسين وغيرهم الى الولايات المتحدة الامريكية بنسبة ١٠% من المهاجرين العرب وكان هدر هذه الثروة البشرية المهمة يرجع سببة الى الحرب الاهلية التي اشتعل فتيلها في منتصف السبعينات وتركت اثارها على الانسان والدولة والمجتمع اللبناني وعلى عمليات التنمية وبناء الوطن نتيجة لظروف الحرب(٢١) اولا ، وتقديم المكاسب الفردية على المكاسب الجماعية(٢٢) ثانيا .

كما عانت الجزائر ايضا في هذه المشكلة بفعل عوامل عديدة منها سياسية واقتصادية واجتماعية وعوامل اخرى (٢٣).

ولايفوتنا ان نذكر هنا ان مساهمة كلا من سوريا والاردن وفلسطين في رفد الولايات المتحدة بالعقول الكفوءة تشكل ٥% تقريبا أي تاتي بعد لبنان والعراق التي شكلت ١٠% تقريبا (٢٤).

وهذا لايعني ان هجرة العقول العربية تقتصر على تلك الدول المذكورة فحسب بل تشير احصائيات مكتب الهجرة الامريكية الى استقرار اكثر من ٧٠ الف عربي في الاعوام ١٩٧٢-١٩٧٧ من بينهم الكثير من الكوادر العلمية ، وشملت الهجرة هذة حتى كفاءات من الدول الغنية بالنفط كالمملكة العربية السعودية والكويت وغيرها ، واشارت بعض التقديرات الى ان عدد العقول المفكرة العربية التي هاجرة الى الغرب في فترة السبعينات تقدر بحوالي ٢٤ الف طبيب و١٧ الف مهندس و ٧٥٠٠ عالم طبيعة (٢٥).

ومما تقدم يمكن ان نطرح عدة اسئلة عن سبب قرار هجرة العقول والذي يرتبط بمجموعة واسعة من التساؤلات حول المحاور السابقة نلخصها بما يلي :

١. هل يمكن ترتيب دوافع هجرة العقول (الكفاءات العلمية) وهل يمكن ترتيب شروط العودة.

٢. وهل تلعب المشاعر الوطنية والظروف المعيشية والسياسية أي دور في قرار الهجرة او في قرار العودة ؟

٣. الى أي مدى تؤثر انماط الحياة الثقافية والاجتماعية في بلدان المهجر في حياة المهاجرين ؟ وهل تتماثل ظروف المهاجرين من الكفاءات العلمية مع الظروف الثقافية والاجتماعية لغيرهم من المهاجرين مثلهم من بلدان اخرى ؟

٤. ما هي المؤهلات والمراتب العلمية للاساتذة المهاجرين ،وما هي الضغوط والخيارات العلمية والاجتماعية الصعبة التي يواجهونها سواء في بلدان المهجر او في مدى ارتباطهم في بلدهم والتفكير في العودة اليه ؟(٢٦)

وسنتطرق الى الاجابة عن بعض هذه الاسئلة بشكل عام من خلال استعراض الاسباب الاساسية المؤدية الى الهجرة

هناك عدة اسباب مؤدية الى هجرة العقول العربية واكثرها اهمية هي العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها .

ان هجرة العقول العربية للخارج تمثل الهاجس الاول للاقتصاديات العربية الهشة التي اكد عليها الدكتور سعد حافظ استاذ الاقتصاد بمعهد التخطيط القومي وقال ان هناك اسباب مشتركة وراء الهجرات السكانية الداخلية منها او الخارجية واهمها الفقر اذ لايقتصر على مفهوم واحد ولكنة يمتد ليشمل فقر الامكانيات والقدرات والذي يعكس نقص الخدمات الاساسية ، كانخفاض مستوى المعيشة ونوعية الحياة معا ويرتبط الفقر بهذا المعنى بنقص التشغيل ، والبطالة التهميش وضعف او انعدام فرص الحراك الاجتماعي وهو المحرك الاساسي لانتقال الناس مكانيا زيادة الى الاضطهاد وعدم الاستقرار السياسي لاسباب ايديولوجية او عرقية او ثقافية او دينية تلعب دورا هاما في الهجرات الجماعية اضافة الى التعرض لاشكال القهر بدءا بالحرمان من الحقوق السياسية ، والاعتقال دون قوانين وكبت الحريات الى التعذيب والتصفيات الجسدية(٢٧) .

وهناك أسباب أخرى لهجرة العقول وهي **اولاً** :الأسباب الجاذبة **وثانياً** : الأسباب الطاردة .

الأسباب الجاذبة : وهي الخاصة بهجرة الكفاءات والعقول يمكن تلخيصها في توفير إمكانات البحث العلمي المناسبة للكفاءة المهجرة في الدول التي يتم الهجرة اليها سواء ما يتعلق بمناخ البحث العلمي السائد او الامكانات المادية كالمعامل والمختبرات والتمويل وفرق العمل البحثي المتكاملة اضافة الى وجود المرجعيات ذات الكفاءات العلمية العالية والمحفزة على الإبداع العلمي وكذلك تهيئة العوامل النفسية للمهاجر اضافة الى المغريات المادية التي تقدمها دول المهجر(٢٨) .

اما العوامل الطارده :فان اغلب الكفاءات تندرج تحت ظل اصحاب الدخول الثابتة ومع ارتفاع معدلات البطالة السنوية ونمو الاسعار بمعدلات تضخمية ، مما ادى الى هجرة الكفاءات للخارج وحتى لمن اتيحة لهم فرص العمل من اصحاب الاجور وعلى الرغم من تميز اجور قطاع الاعمال العام والخاص عن القطاع الحكومي ، فان معدلات الزيادة في الاجور تقابلها زيادة اكبر في معدلات الاسعار ، وكذلك عدم حصول اصحاب الكفاءات على مزايا عينية ، مثل الحصول على مسكن ملائم وقريب من مكان العمل ، بتكلفة ايجارية محدودة او بقيمة مقبولة .

ومن شان هذه العوامل اما استنزاف قدرات وطاقات الباحثين العاملين على تحسين مستوى المعيشة بكافة الاشكال كالاشتغال بمهام وظيفية اخرى تدر عليهم دخل اكبر ، واما تفضيل الهجرة والتي تتوافق والعوامل الاخرى المشار اليها كالبيئة البحثية والامكانيات التمويلية والتقنية للعملية البحثية وبذلك تشكل ظروف المعيشة احد حوافز هجرة العقول .

كما تشير د. ماجدة صالح استاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة الى ان اسباب هجرة الكفاءات تتحكم فية بصورة اساسية العوامل الجاذبة وليس الطاردة وحدها فلو توفرت العوامل الطاردة ولم تتوفر العوامل الجاذبة واولها التشريعات والقوانين والامتيازات الاقتصادية لن تكون هناك هجرة(٢٩) .

وبذلك تتركز اسباب الهجرة على ثلاث عوامل : اقتصادية وسياسية واجتماعية وبعض العوامل الجانبية كالمغريات الخارجية .

آثار هجرة الكفاءات العربية

لا تقتصر اثار الهجرة على النتائج المباشرة لهذه الهجرة المتمثلة بتسرب الكفاءات ونزيف العقول وما يعنية ذلك من خسائر مادية واضرار اجتماعية ومخاطر سياسية ، بل انها تشمل كذلك الخسائر غير المباشرة المتمثلة في المكاسب المادية وغيرها التي تجنيها الدول المستقبلة للكفاءات المهاجرة اليها .

وتعد ظاهرة هجرة الكفاءات والعلماء من الدول العربية الى الخارج احد اهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد القومي وعلى التركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية خصوصا مع تزايد اعداد المهاجرين من الكوادر العلمية ذات التخصص الدقيق وتمثل اهم الاثار السلبية في حرمان هذه الدول من الاستفادة من خبرات ومؤهلات هذه الكفاءات في ميدان التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتبين احصاءات الدول العربية ومنظمة العمل العربية وبعض المنظمات المهتمة بهذه الظاهرة الى ان الوطن العربي يساهم بـ٣١ هجرة للكفاءات من الدول النامية ، وان ٥٠% من الاطباء ، ٢٣% من المهندسين ، ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون

متوجهين الى اوربا والولايات المتحدة وكندا بوجه خاص وان ٥٤% من الطلاب العرب الذين يدرسون بالخارج لايعودون الى بلدانهم ، ويشكل الاطباء العرب في بريطانيا حوالي ٣٤% من مجموع الاطباء العاملين فيها ، وان ثلاث دول غربية غنية هي امريكا وكندا وبريطانيا تتصيد نحو ٧٥% من المهاجرين العرب (٣٠) .

واذا ما تطرقنا الى المخاطر المترتبة على هجرة الكفاءات من الناحية المادية وغير المادية نرى ان المشكلة تزداد خطورة وتعقيد كلما كانت الحاجة الفعلية الى الكفاءات الوطنية كبيرة في الدول المرسلة ومتكونة من عناصر نادرة التخصص عالية التحصيل العلمي والتكوين المهني والمهاري .

ولتقييم هذه الخسارة وقياسها كمايذهب المختصون الى احتساب القيمة النقدية للكفاءات غير ان هذا الاسلوب يخفي وراء خصائص مهمة .

ويشير د. سعد حافظ في حصرة للخسائر الناتجة عن هجرة الكفاءات سواء كانت دائمة او مؤقتة والتي تقدر بنحو ٥٠,٤% من اجمالي العمالة المهاجرة والبالغة ٣,٦٧٥,٢٧٦ قد كبدت الميزانية العامة للدولة حسائر في الاستثمارات المنفقة على التعليم الحكومي بما يتراوح مابين ٤٣,٠١ مليار جنية و ٦٢,٣٤٩ مليار خلال الفترة من ٦٢-٢٠٠٠ ولا تدخل ضمن هذه التقديرات موارد انفاق الاسرة على التعليم الخاص والانفاق المكمل للانفاق الحكومي . وقدرت التقارير الحديثة الى ان تلك الهجرة التي تكاد لاتتوقف تتسبب في خسائر مالية تتجاوز (٢٠٠) مليار دولار(٣١) حسب تقادير مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية وطبقا لاحصاءات جامعة الدول العربية .

اما الخسائر الاجتماعية من هجرة العقول يصعب تقديرها وهذا ما اشار اليه الاستاذ ابو بكر الحسن في ٢اذار ٢٠٠٨ ان مثل هذه القضايا المصيرية التي لاتمس اقتصاديات الدول العربية فقط ولكن لها بالضرورة تبعات اجتماعية يصعب حصر خسائرها بالعملات ، والباحث يريد ان يقول من خلال هذه المقالة ان المشكلة ليست

وليدة الامس او اليوم ، وبالتالي ان تشخيصها معروف لدى جميع الحكومات العربية الا انها لم تحرك ساكنا مما يعني ان المشكلة مرشحة للتفاقم بكل جوانبها السلبية(٣٢).

من الصعب الكلام عن الخسارة الناجمة بسبب تسرب الكفاءات من الدول النامية الى الدول الصناعية سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية ، في الوقت الذي تعاني فيه الدول النامية من ظاهرة (بطالة الكفاءات) ففي هذه الحالة قد يكون هناك خسارة بل ربما وجود ربح يتمثل في التخفيف من حدة هذه البطالة وفي قيمة التحويلات المرسلة من قبل المهاجرين البلدانهم الاصلية (٣٣) ، ودفع الضرائب ، وما يسمى بـ(بطالة الكفاءات) لايمثل الا مسالة شكلية ونسبية ويعود ذلك للاعتبارات الرئيسية التالية :

١. يمكن للاقطار العربية النفطية استيعاب نحو (١٨)الف كفاءة عربية عالية التكوين .

٢. لاتظهر هذه البطالة الا في بعض الكفاءات دون غيرها وبصفة مؤقتة وبنسبة محدودة مقارنة بالبطالة في الفئات والمستويات الاخرى للعمالة

٣. ممكن استغلال الكفاءات العاطلة في تقديم العون والمساعدة لدول اخرى بضمنها الدول الصناعية نفسها بدلا من تركها تتارجح بين البطالة والهجرة ، وهو حل ممكن ومفيد للاطراف الثلاث : الدول المرسلة ، والدول المستلمة ، والكفاءات نفسها قائمة رغم الادعاء بوجود مظاهر البطالة بين الكفاءات(٣٤).

ولكن مع ذلك فالمشكلة لاتقتصر على القيمة النقدية للكفاءات بل هي اكثر شمولا فخسارة العقول العلمية عن طريق الهجرة تعني تجريد هذه الدول من اهم عناصر ومستلزمات التنمية والتحديث والحضارة ، فهي لاتعوض حتى بالمال كما انها لاتعوض بعناصر اجنبية (مستوردة) خاصة عندما يتعلق الامر بكفاءات نادرة عالية التاهيل (٣٥) كما سبق لنا ذكر ذلك ، ومع ذلك يظل العامل المادي لقيمة الكفاءات الاسلوب العملي الوحيد القابل للقياس في مثل هذه الحالة ولايفترض الاكتفاء بحساب هذه القيمة على المبالغ المنفقة على تكوين الكفاءات العلمية بل يجب ان يضاف الى ما تجنيه الدول المستلمة من دخول منسوبة الى عمل العقول المهاجرة ، وقدرت الارباح الصناعية التي حصلت عليها الولايات المتحدة من هجرة الكفاءات من الدول النامية لعام ١٩٧٠ فقط (٣,٦) مليار دولار بمتوسط لكل كفاءة مهاجرة يبلغ (٣٢,٦) الف دولار بالنسبة لاسعار عام ١٩٧٠ ، لقد تم تقدير ذلك باحتساب الرواتب المدفوعة للكفاءات وقيمة الخدمات الاجتماعية وتكاليف اعداد الكفاءات وقيمة انتاجها(٣٦).

وهناك مصادر اخرى تشير الى العناصر الاساسية لاحتساب القيمة النقدية للكفاءات .

١. كلفة الاعداد والدراسة (كلف جارية وراسمالية)

٢. الارباح (الدخول) التي يحصل عليها المهاجرون وتمثل خسارة لدول الارسال .

٣. الخسارة الناجمة عن فقدان الكفاءات وهي بالنسبة للدول النامية اكبر من الارباح التي تحصل عليها الدول المتقدمة جراء استخدام الكفاءات لديها وهي تمثل القيمة الراسمالية للمهاجرين الذين تتسلمهم الدول الصناعية بعد تكوينهم مهنيا وعلميا في بلدانهم الاصلية .

٤. المنافع التي تحققها الدول المضيفة تعادل قيمة الزيادة في الانتاج المنسوب الى عمل العقول المهاجرة وتحتسب على اساس الفرق والقيمة الانتاج فيما كان سيحققة المهاجر في بلده الاصلي لو لم يهاجر وبين قيمة الانتاج التي ساهم بها المهاجر في بلدان الاستقبال والفرق يتحدد على اساس الفرق في الانتاجية الحدية للمهاجر بعد الهجرة وقبلها (٣٧).

قدرت منظمة الاونكتاد (uwnctad) في تقريرها حول (النقل المعاكس للتكنالوجيا) نسبة الارباح التي حصلت عليها ثلاث دول مستقبلة للكفاءات العلمية وهي : الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا من هجرة (٢٣٠,١) الف كفاءة من الدول النامية خلال الفترة من ١٩٦١-١٩٧٢ كالاتي :

١. صافي الدخول الناتجة عن معدل الكفاءات :٤٤,٤ مليار دولار .

٢. القيمة الراسمالية للكفاءات المهاجرة = ٥١ مليار دولار (٣٨).

اما في الوقت الحاضر وكما ذكرنا سابقا وصلت الى ٢٠٠ مليار دولار عام ٢٠٠١ وهو ارتفاع عالي وصل الى اربعة اضعاف العدد في سنة ٦١-١٩٧٢ فخسائر الدول العربية كبيرة جدا ماديا ومعنويا .

وسنلخص اهم الاثار السلبية لهجرة العقول من عدة جوانب :

١. من خطر النتائج السلبية لهجرة العقول من الناحية الاقتصادية هي ان الاستاذ الجامعي المهاجر كغيرة من المهاجرين اصبح يعيش ظروفا خاصة وانة يقع في اعلى الشرائح الضريبية ، فالضرائب والزكوات والتحويلات والرسوم والتبرعات

اصبحت جميعا الزامية لافكاك منها ، ويؤدونها كما يؤدي (الجزية عن يدوهم صاغرون) .

٢. اما الجانب الثقافي : فهجرة الكفاءات العلمية تعتبر تخفيفا لمعين الثقافة في البلد المهاجر منه في شتى مجالات الحياة ، فالخبرات والمهارات والقيم من تنتقل الى اجيال جديدة غيب وعيها بماضيها تماما . كما ان بلدان المهجر ونظمها قد لاتتيح فرصة للتطور المهني والكفاءات العلمية الوافدة في كثير من هذه البلدان قد لاتستطيع الاشتراك في عضوية التنظيمات المهنية الوطنية .

٣. عدم اتاحة الفرصة للاساتذة في الجامعات المهاجر لها تمثيل الجامعات التي يعملون فيها كما انهم لايستطيعون الادعاء بانهم ممثلون جامعات بلادهم لان الصلة الرسمية لمعظمهم قد انقطعت بهذه الجامعات (٣٩) .

٤. بالنسبة لتاثير الهجرة على عدد افراد الاسرة : فكانت المنافسة الاقتصادية المباشرة بين المهاجرين الوطنيين تحمل تحمل الاخرين على ان يهبطوا بمعدلات المواليد في تعدادهم . ويرجع سبب ذلك الى ان الذين يحصلون على الوظائف ذات الاجر الافضل بالمدن وكان الذين انتقلوا الى امثال هذه الوظائف هم اول من عمدوا بمحض ارادتهم الى الحد من حجم اسرهم .

وبرغم الاحتمال بان المهاجرين واطفالهم لم يشكلوا زيادة عددية صافية في أي تاريخ معلوم تربو على ما كان يحدث لو كان حجم الهجرة اقل بشكل جوهري(٤٠)

٥. اما عن المشكلات النفسية : التي يعاني منها المهاجرين فهي بطبيعة العلاقات بين المهاجرين او مكان المهاجر فهو فهو يعاني من الضياع النفسي ، والجنوح ، والتفكك العائلي والامراض العقلية والبطالة والفقر والزواج الداخلي اكثر من بقية السكان (٤١).

وبشكلا عام هناك عدة سلبيات تعود على الدول العربية نتيجة هجرة الكفاءات والعقول وتمكن

هذه في المسائل التالية :

أ. دفع تكاليف واعداد الكفاءات لتستفيد الدول الصناعية من الارباح الصافية الناجمة عن عملها لديها .

ب. استنزاف هذه الكفاءات من الدول العربية والتي عقدت عليها امالا واسعة للمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية عندها .

ج. تتمثل في القيمة الاجتماعية والحضارية والانسانية والديمغرافية ودورها في الاسهام في تحقيق توازن هيكلي اجتماعي واقتصادي وحضاري لهذه المجتمعات ومع ذلك فان الدراسات المختلفة حول هذا الموضوع تقتصر في

حساباتها على العناصر المادية لكونها قابلة للقياس وتهمل العناصر الاخرى او التي لاتقل اهمية فاذا اعتبرنا ان الارقام السابقة صالحة للتطبيق على الوطن العربي فهذا يعني ان الخسارة السنوية لكل كفاءه مهاجرة تبلغ نحو (٣٧،٢) الف دولار باسعار عام ١٩٧٠ ، واذا اعتبرنا بان حجم الكفاءات العربية المهاجرة قد بلغ في اوائل السبعينات نحو (١٢٠) الف كفاءة فان الخسارة السنوية التي يدفعها الوطن العربي سنويا ومقابل هجرة كفاءتة تبلغ اكثر من ٤٤٧ مليون دولار في السنة (٤٢).

ومع ذلك فان هذا الرقم اقل بكثير من الحقيقة يرجع ذلك لعدة اسباب منها :

١. ان عدد الكفاءات العربية المهاجرة قد استمرت في الزيادة وفق نفس المعدلات السابقة على الاقل منذ عام ١٩٧٠ الا انها تزايدة في السنوات الاخيرة بشكل مضاعف اذ وصلت الى ٨٢٤ الف كفاءة في مصر وحدها .

٢. ان اسعار عام ١٩٧٠ لم تعد صالحة للاسقاط على الفترة اللاحقة التي شهدت تصلعد خطير في معدلات التضخم .

٣. زادت القيمة المضافة (صافي الدخل) لعمل المهاجرين من الكفاءات ارتباطا بارتفاع مستوى الاسعار وتكاليف الانتاج خلال الفترة الاحقة .

٤. ان القيمة الحقيقية للكفاءات لا تقتصر على المباشرة منها بل تشمل كذلك العناصر الاخرى

غير القابلة للحساب وبخاصة مقدار الخسارة الناتجة عن عدم مشاركة هذه الكفاءات في تنمية مجتمعها الاصلي وفي مقدار ما احدثتة من اعاقة لمعدلات النمو بسبب هجرتها الى الخارج وخسارة الفرصة البديلة .

الاجراءات التي لجأت لها بعض الاقطار العربية تجاه هجرة الكفاءات

بالرغم من غياب سياسة عربية موحدة ومتكاملة لمواجهة مشكلة هجرة الكفاءات فقد لجات بعض الاقطار العربية الى اتخاذ اجراءات تشريعية لهذه الحالة لتزايد نزيف العقول المتفاقمة خصوصا في السنوات المتاخرة ولكن الذي جرى ما زال يمثل توجها بسيطا ونقاشات اولية ومؤتمرات قليلة من منظمات عربية غير حكومية اغلبها تعيش في المهجر تحاول فيها ربط البلدان العربية مع الطاقات والمواهب العربية المهاجرة ومساهمة الاخيرة في اعطاءتها وخبرتها للمنطقة العربية .

بعض النقاشات كانت نوعا ما جيدة ولكنها غير عملية ، تحاول بدورها استثمار الطاعات والعقول في اماكن تواجدها .

والرأي الاخير يدعو الى محاولة جذب العقول والكفاءات والعودة بها للعمل في بلدانها الاصلية . ولكن هذا الامر لم يتحقق ، فاغلب الكفاءات العربية لاتفضل العودة الى وطنها بسبب استقرارها الاجتماعي والاقتصادي ، وعلى الرغم من تقدم الكثير من الدول المغريات لاصحاب الكفاءات كزيادة الرواتب لاجل جلب هذه الكفاءات والعقول للبلدان العربية الاانها تبقى في المهجر بسبب مستوى المعيشة هناك لاينافس حتى المرتبات الاعتيادية في المغرب وتطرقت مناقشات اخرى الى هذه الظاهرة بعرضها فقط دون تقديم أي وسيلة لمعالجتها ، فاسباب ظاهرة هجرة العقول العربية المبدعة وعوامل تفاقمها بشكلا رئيسي اقتصادية وسياسية واسباب اجتماعية اذ يلعب التخلف الاجتماعي دورا كبيرا ومهما في تخلف العلم والتكنلوجيا .

وبادرة منظمة عربية واسلامية تدعى دكلاسيكو : منظمة العلوم والثقافة والتربية ، ومقرها المغرب الى معالجة هذه الظاهرة اذ عقدت اول لقاء عملي للخبراء قبل ثلاث سنوات في المانيا تبعت ذلك لقاءات ودراسات اخرى لافضل السبل لمعالجة هذه الظاهرة .

كما انعقد بالقاهرة مؤخرا مؤتمر لمناقشة هذه الظاهرة الخطيرة ، توصل خلالة المتحاورون الى مجموعة الاسباب التي تقف وراء هذه الهجرة وعكفوا على محاولة ايجاد الحلول الناجمة لتجاوز سلبياتها . مؤكدين على ضرورة التصدي بكل الطرق لاجل وقف هذا التدفق من العقول الذي يلحق الاذى بجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية .

وبالرغم من ان الدول العربية استطاعة تشخيص المشكلة ويعتبر ذلك جزءا من الحل الا انها لم تستفيد يوما من معرفتها بادواتها لانها تلجا دائما للمسكنات في تعاملها مع المشكلات دون وضع

حلول جذرية لها(٤٣) ، اضافة الى ان هذه الاجراءات تختلف بشكل كبير من قطر لآخر ،ويعتبر موقف العراق وتجربته في هذا الغرض اكثر تميزاً من التجاري الآخرى .

ويعود ذلك الى تصميم السلطات المعنية في احتواء عملية الهجرة قدر الامكان ومنع تدفقها بالهجرة المعاكسة باستجلاب من سبق وهاجربالعودة الى بلده للحاجة الضرورية للقطر اليهم ولفسح المجال امامهم للمساهمة في تحقيقالتنمية الاقتصادية وقدمت عدة تشريعات الاجل ذلك خصوصاً في العهود السابقة وسنتطرق الى ذلك .

أسباب هجرة العقول العراقية وتجربة العراق في جذبها

بدأت ظاهرة هجرة العقول العراقية منذ منتصف القرن العشرين الاانها تزايدت خلال السنوات الخمس الاخيرة خصوصا في الاعوام ١٩٦٣ و ١٩٧١ و ١٩٧٧ و ١٩٨٠(٢) ، ولاعتبارات عديدة في مقدمتها

١. ضعف المردود المادي لاصحاب الكفاءات العلمية وفرض التشريعات والكفاءات المالية التي تربك اصحاب الخبرات .

٢. ظاهرة عدم الاستقرار السياسي او الاجتماعي بالعراق .

٣. توفر العديد من عناصر الجذب المادي والعلمي في الدول المتقدمة .

٤. برز مؤخرا ولاول مرة في تاريخ العراق المعاصر ، مبرر جديد تمثل بتعرض حملة الشهادات العليا الى الاغتيالات واستخدام وسائل التهديد المباشر لاجبارهم على مغادرة العراق ، ويقدر عدد العلماء الذين قتلوا حوالي (٢٤٦) عاما وفقا لما اعلنة عنة السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي ، بينما هاجر اكثر من (٢٠٠٠) منهم الى الخارج(٤٤). ولذا فهجرة العقول العراقية تعكس خسارة فادحة واستنزافا لعقول نادرة ومؤثرة في المجتمع اذ تمثل اقتطاعا من حجم القوة العلمية النادرة والايدي العاملة الماهرة المتوفرة في العراق مثل الاطباء يجمع اختصاصاتهم والاساتذة الجامعيون في الحقوق والكومبيوتر والعلوم والادارة والاحصاء والمحاسبة وغيرها من مختلف الاختصاصات الهندسة وغيرهم من العقول التي تشكل ثروة وطنية عراقية(٤٥) .

وقد انتشرت ظاهرة الهجرة في العراق بشكل اكثر وضوحا خصوصا العقول العراقية منذ اندلاع الحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٠ التي لايمكن ان تعيش في ظل اجواء الحروب فغادرو العراق حفظا على ارواحهم وبحثا عن الامان والحرية والاستقرار .

ثم بعد الغزو الكويت في عام ١٩٩٠ وحرب الخليج وحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ فرض الحصار الاقتصادي على العراق والذي كان من نتائجه الخطيرة ان الآلاف من الكفاءات والعقول العراقية لم تعد قادرة للعيش في اجواء الحرب داخل البلد كما ان جريمة الحصار الاقتصادي ضد الشعب العراقي وضد الإنسانية وهو عقوبة قاسية ضد الابرياء قد تركت اثارها على عموم الشعب العراقي من الشباب والعقول والخبرات(٤٦) .

بعد عام ١٩٩١ هناك من راى الفرصة متاحة امامه لامتصاص الكفاءات العلمية من العراق كالولايات المتحدة الامريكية حيث ركزت على ملاحقة العلماء الخبراء الفنيين العراقين ، وعبر عن ذلك بشكلا واضح دمارك كلايتون في اكتوبر ٢٠٠٢ حين كتب في صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) يحذر من العقول المفكرة قائلا : (ان هؤلاء العلماء والفنيين اخطر من اسلحة العراق الحربية) وقد اتخذت واشنطن العديد من الاجراءات لتحقيق هدفها في تفريغ العراق من علمائة قبل اعلان الحرب علية . وفي مطلع عام ٢٠٠٣ اقر الكونكرس الامريكي قانون (هجرة العلماء العراقيين)(٤٧) ومع ذلك فان هجرة العقول العراقية بدات تظهر بشكل كبير كما تشير الدراسات ما بين عامي ١٩٩١-١٩٩٨ اذ غادرة العراق خلالها اكثر من (٧٣٥٠) عاما ، تلقفتهم دول اوربية ، وكندا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها ، ومنهم٦٧% اساتذة جامعة و ٢٣% يعملون في مراكز ابحاث علمية ومن هذا العدد الكبير (٨٣%) درسوا في جامعات اوربية وامريكية ، اما الباقون فقد درسوا في جامعات عربية او في اوربا الشرقية ، ويعمل من هؤلاء في مجال اختصاصاتهم ما يقارب ٨٥% منهم (٤٨).

وفي الاونة انتشرت ظاهرة الهجرة في العراق بصورة ملحوظة لاسباب عديدة اهمها :

١. الوضع الامني المتازم

٢.الحالة الاقتصادية الصعبة التي تمر بها غالبية طبقات الشعب العرقي وهي ظاهرة الهجرة واللجوء .

وقد فاقت اعداد الطاقات العراقية المهاجرة بالنسبة للعديد من دول العالم واصبح السفر والهجرة في هذه الايام مفتوحا سواء لاغراض تجارية او اسباب إنسانية وهو الاكثر ترجيحا للتازم الذي اصاب الوضع الامني وعمليات القتل والاختطاف المستمرة بالاضافة الى اعمال التفجير والقتل الجماعي الذي يمر به العراق يوميا . وهذا ما سيؤدي بالتالي الى هجرة المزيد من العقول العراقية والمفكرة والايوي العاملة والمنتجة(٤٩).

تجربة العراق في جذب العقول

تشكل تجربة العراق تجاه الهجرة حالة فريدة من نوعها في حينها سواء تعلق الامر بالهجرة الاغترابية وهي بالتحديد هجرة الكفاءات (العقول) ام الهجرة الوافدة (العمالة العربية) ، واستندت سياسة العراق بهذا الصدد على المبادىء الاساسية التالية :

١. جذب الكفاءات العربية والعراقية المهاجرة .

٢. الاستغناء عن العمالة الاجنبية الا في الحالات الضرورية لسد الفراغ الكمي والنوعي في العمالة العربية .

٣. الانفتاح على العمالة العربية .

واعتمدت بذلك السلطات المعنية اجراءات مهمة لتحقيق هذه الاهداف .

بالنسبة للاجراءات الخاصة لهجرة الكفاءات فان السلطة المختصة اعتمدت سياسة تهدف الى ابقاء الكفاءات الوطنية ومحاولة استرجاع الكفاءات العراقية والعربية المهاجرة ، وقد شرعت لهذا الغرض عدة قوانين الاول عام ١٩٧٠ والثاني عام ١٩٧٤ في عهد الرئيس الراحل احمد حسن البكر والذي اطلق عليه قانون ذوي الكفاءات وتضمن القانون التالي عددا من الاجراءات التشجيعية ومن بينها :

١. دفع تكاليف العودة الى العراق .

٢. تكاليف نقل الامتعة والحاجيات الشخصية والعائلية واعفائها من الرسوم الكمركية .

٣. ادخال سيارة بدون رسم كمركي .

٤. منحة راتب شهر واحد وسلفة بمبلغ ست رواتب شهرية .

٥. منحة قطعة ارض وقرض مالي لبناء دار سكنية .

وكانت من نتائج هذه الاجراءات عودة (٧٠٥) من الكفاءات وهذا الرقم يمثل ثلث عدد الكفاءات الموجودة داخل العراق انذاك والتي شملها معظم الاحتيازات الواردة في القانون(٥٠).

وفي حزيران من عام ١٩٩٩ اصدر الرئيس العراقي الراحل صدام حسين امر بالعفو عن جميع المدرسين الجامعيين الذين غادروا العراق بصورة غير مشروعة واسقاط كافة الاجراءات القانونية المترتبة عليهم بعد عودتهم الى العراق ، وقد نشر هذا العفو بشكل (مكرمة من الرئيس صدام) . جاء بعده تصريحات من المسؤولين في وزارة الخارجية والتعليم العالي توضح مزايا ما يسمى بالمكرمة ، والإجراءات السريعة الجديدة لتجديد جوازات السفر العراقية في السفارات(٥١)، لغرض جذب الكفاءات العراقية العاملة في الخارج للاستفادة منها داخل البلد وحماية البنية التحتية والتنمية القومية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي

ومع ذلك ظل استفحال ظاهرة الهجرة مستمرا من قبل الكفاءات والعقول العراقية بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الصحية الى الخارج وتزايد عدد المهاجرين مما دعى الحكومة الى اصدار قرار العفو مرة اخرى عن هؤلاء للعودة الى العراق مقابل عدم معاقبتهم عن تصرفاتهم في المغادرة غير الشرعية للعراق .

كل هذه المحاولات من قبل الحكومة السابقة لاجل جذب الكفاءات والعقول العراقية للعودة الى بلدها بدل تواجدها في الغرب وهي واحدة من العوامل الخطيرة التي تؤدي الى تردي الوضع العلمي والجانب المعرفي في العراق .

وهناك سببين اساسيين لاستقبال هذه الدول للعقول العربية والعراقية مستقبلا وبشكلا اكبر هما :

الاول : طبيعة نظام العولمة والقوى المحركة لها تعني الحركة في سوق عالمي واحد للبحث عن العقول والكفاءات المبدعة خصوصا في عصر المعرفة، حيث تمثل المعرفة والابداع راس المال الحقيقي للتوظيف في الانتاج والابتكار .

الثاني : انخفاض نسبة الكفاءات العلمية في الدول الغربية المصنعة خصوصا بسبب انخفاض نسبة الولادة وتحديد النسل مما يؤدي الى انخفاض عدد الكفاءات والمتخصصين في الفروع العلمية والتقنية وغيرها من الاختصاصات ، مما يجعلها تبحث عن عقول وكفاءات اجنبية لسد الشواغر ، مما دعى امريكا الى تطوير قانون الهجرة لهذا العام لاجل فسح المجال لاعداد اكبر من الكفاءات غير الامريكية والمتخصصين في العلوم والهندسة للعمل والعيش في الولايات المتحدة (٥٢) .

ومع ما قدمت العراق من مغريات وامتيازات لجذب الكفاءات وتفوقت على بقية الاقطار العربية الا ان هذا الانفتاح من قبل الدول الغربية دعى الى الكثير من الكفاءات العربية والعراقية بشكل خاص خلال الاعوام الماضية الى هجرة الكثير من الكفاءات العراقية للهجرة ، الدول الاوربية الرئيسية وبتزايد في اعداد الطلبات للحصول على حق اللجوء السياسي وبلغت اعدادها ٤,٢ مليون طلب للفترة ما بين ١٩٩١-١٩٩٥ .

وتحتضن برطانيا اقدم الجاليات العراقية في اوربا والمهجر وان نسبة المتعلمين في هذه الجالية عالية جدا بلغة ٧٥% من اصحاب الشهادات الجامعية ، اما الذين يحملون شهادات عليا بلغ ٣٣% من الذكور و ٩% من الاناث وهو مؤثر على ارتفاع هجرة الكفاءات العلمية .

اما في الوقت الحاضر وخلال السنوات الخمس الماضية اصبح باب الهجرة مفتوحا على مصرعية وهناك تشجيع للسفر وعدم تقديم أي مبادرة للجذب لحد الان ، ولو وفرت الحكومة الموقرة العمل والحماية لهذه العقول وبذلك تمنع تسرب هذه الكفاءات التي ان استثمرت لاصبحت خير وسيلة للنهوض بالواقع الاجتماعي والاقتصادي ،

واذا ما استمرت هذه الهجرة لهذه الاعداد الغير متوقعة سيؤثر على تعداد السكان في العراق خلال السنوات القادمة .

وهذا الامر يتطلب من الجميع العمل الجاد للوصول الى حلول ومعالجات علمية لايقاف هجرةالعقول والكفاءات العراقية والشباب العراقي والمحافظة عليهم كثروة وطنية نادرة لخدمة الوطن العزيز في المدى القريب (٥٣)

واخيرا لابد من القول ان الشعوب التي تحترم علمائها ومفكريها وخبراتها الوطنية وكفاءاتها العلمية وتهيء لهم كل الاوضاع المناسبة للابداع والعمل الحر هي شعوب واعية ومتطورة تزرع في نفوس مواطنيها الثقة والاخلاص والتفاني من اجل سعادة الانسان ، والامة التي تكرم عقولها تكون قوية بهم ، ولهذا فان احترام الانسان اولا وتوفير المناخ الملائم من احترام القانون وتطبيقة بصورة عادلة وتوفير ضمانات للتقاضي . واستقرار سياسي ومورد مالي دائم ومناسب لكل انسان وتعددية سياسية وديمقراطية ، هي الكفيلة وحدها بعودة هذه العقول الى بلدها لتخدم وطنها وليست اساليب القمع او الترهيب والترغيب او قرارات العفو او السماح ببعض الامتيازات المالية التي هي ضرورية لكل انسان في الحياة القديمة والعصرية (٥٤)

الاستنتاجات

ومما تقدم تبين من خلال الاحصاءات والدراسات التي قامت بها كلا من جامعة الدول العربية ومنظمة الدول العربية ومنظمة اليونسكو وبعض المنظمات الدولية والاقليمية المهتمة بهذه الظاهرة (الهجرة) الى الحقائق التالية:

١. يساهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية .

٢. ان ٥٠% من الاطباء و٢٣% من المهندسين و ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات والعقول العربية المتخرجة يهاجرون متوجهين الى اوربا والولايات المتحدة وكندا بوجة خاص.

٣. ان ٥٤% من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لايعودون الى بلدانهم .

٤. يشكل الاطباء العرب العاملين في بريطانيا حوالي ٣٤%من مجموع الاطباء العاملين فيها.

٥. ان ثلاث دول غربية غنية هي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا تصطاد ٧٥% من المهاجرين العرب .

٦. بلغت الخسائر التي منيت بها البلدان العربية من جراء هجرة العقول العربية ١١ مليار دولار في عقد السبعينات ، وارتفع بشكل هائل خلال الاعوام القليلة الماضية اذ وصل الى ٢٠٠ مليار دولار في عام ٢٠٠١ .

٧. اما عن اهم اسباب هجرة العقول العربية والعراقية توصلت الدراسة الى انها تعود للعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ودخل العامل الامني في السنوات الاخيرة خصوصا في العراق .

٨. وما يخص الاثار الناتجة عن هجرة العقول والحصول على بعض الضرائب المالية والمبالغ المرسلة من اصحاب الكفاءات الى داخل البلد ولو قليلة ، الا ان الاثار السلبية اكبر بكثير اذ ان هجرة الكفاءات العالية جدا من البلدان العربية الى الغرب كانت واحدة من اخطر العوامل لتردي حالة المعرفة العلمية واهميتها في البلدان العربية ، وفقدان الكفاءات القادرة على اعادة البنى التحتية وتنمية المجتمع خصوصا في عصر العولمة والتطور العلمي ، وكذلك الخسائر المالية التي تبذلها الدول العربية لتخريج هذه الكفاءات واكمال دراساتها العلمية والتي بينا مقدارها في النقاط السابقة .

المصادر

القرآن الكريم.

١. هجرة الكفاءات العربية ، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا (اكوا) الامم المتحدة ،اشراف انطوان دخلان، بيروت – مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٨١ .
٢. فرجاني ، نادر ، هجرة الكفاءات والتنمية في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي ، السنة (٨) /العدد (٨٠) / تشرين الاول /اكتوبر ،١٩٨٥ ، ص٨٢ .
٣. د.علي ، يونس حمادي ، مبادئ علم الديمغرافية ، طبع بمطابع جامعة الموصل – مديرية مطبعة الجامعة / ١٩٨٥ ، ص١٩٦ .
٤. د. الراوي ، منصور ، دراسات في السكان والعمالة والهجرة في الوطن العربي ، جامعة الموصل – دار الكتب والنشر ، ١٩٩١ ، ص٧١ .
٥. علي ، يونس حمادي ، مبادئ علم الديمغرافية ، المصدر السابق ، ص١٩٦ .
٦. سورة البقرة : اية ٣٥-٣٦ .
٧. سورة العنكبوت : اية ٢٦ .
٨. cldocuments and senttings / desktop / coby of htm اهدار الحريات الاكاديمية وهجرة العقول العراقية (انترنت) .
٩. العقول المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار c/ document and settings : abdi / aziz / desktop – انترنت .
١٠. العقول المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار ، المصدر السابق (انترنت) .
١١. المصدر نفسة (انترنت) .
١٢. العقول المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار ، (انترنت) ، مصدر سبق ذكرة .
١٣. الطلقاني ، علي ، هجرة الكفاءات ظاهرة عالمية ، (انترنت) .
١٤. المصدر نفسة .
١٥. انطوان زحلان، مشكلة هجرة الكفاءات العربية ، مصدر سابق ، ص٢١-٢٨ .
١٦. فرجاني،هجرة الكفاءات والتنمية في الوطن العربي،مصدر سابق،ص٨٤-٨٥.
١٧. File. // c./ docunients and settings /. Deskton /.
مئتان مليار دولار خسائر هجرة العقول العربية ، ١٥/ ٥ / ٢٠٠٨ (انترنت)
١٨. مئتان مليار دولار خسائر هجرة العقول ، المصدر السابق (انترنت) .
١٩. نور ،عثمان الحسن محمد ومختار ابراهيم عجوبة ، هجرة السودانيين للاقطار النفطية عواملها،اثارها ،ومستقبلها ، مجلة المستقبل العربي ، السنة ٩ /العدد ٨٧ / ايار – مايو ، ١٩٨٦ ، ص٨٧ .
٢٠. المصدر نفسة ، ص٨٧ .
٢١. c/ documents and senttings / desktop / copy of htm اهدار الحريات الاكاديمية وهجرة وهجرة العقول العراقية (انترنت) .
٢٢. رزيف،هدى ، عملية صنع القرار في الهجرة المؤقتة والدئمة من لبنان ، مجلة المستقبل العربي ، السنة ٩ / العدد٨٧ / ايار – مايو ، ١٩٨٦ ، ص٨٣ .
٢٣. اهدار الحريات الاكاديمية ، المصدر السابق ، (انترنت) .
٢٤. ٢٠٠مليار دولار خسائر عربية من هجرة العقول ، مصدر سابق (انترنت).
٢٥. المصدر نفسه .
٢٦. انطوان زحلان ، مشكلة هجرة الكفاءات العربية ورقة قدمت الى هجرة الكفاءات العربية وبحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي اسيا (اكوا) الامم المتحدة ، مصدر سابق ، ص٨٨ .
٢٧. نفس المصدر السابق (انترنت) .
٢٨. مئتان مليار دولار خسائر هجرة العقول ، المصدر السابق ،(انترنت) .
٢٩. المصدر نفسه (انترنت) .
٣٠. المصدر نفسه (انترنت) .
٣١. مئتان مليار دولار خسائر هجرة العقول العربية ، المصدر السابق (انترنت) .
٣٢. المصدر نفسة ، ابو بكر الحسن ، ٢ اذار ٢٠٠٨ (انترنت) .
٣٣. د. الراوي ، منصور، دراسات في السكان والعمالة والهجرة في الوطن العربي ، مصدر سابق ، ص٧١
٣٤. المصدر نفسة ، ص٧٢ .
٣٥. د. الراوي ، منصور ، دراسات في السكان ، المصدر السانق ، ص٧٢ .
٣٦. المصدر نفسة ، ص٧٢-٧٣ .

٣٧. الراوي ، منصور ، دراسات في السكان ، المصدر السابق ، ص٧٣ .
٣٨. المصدر نفسة ، ص٧٣ .
٣٩. فرجاني ، هجرة الكفاءات العلمية ، مصدر سابق ، ص٨٥ .
٤٠. لويس ، دايفدت ، ودارين سن . تومسون ، مشكلات السكان ، ترجمة : د. راشد البرادي ، مراجعة وتقديم د. عبد المنعم الشافعي ، نشر هذا الكتاب مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة-نيويورك ، مكتبة الانجلوا المصرية ، ١٩٦٩ ، ص٧٦٢ .
٤١. علي ، يونس حمادي ، مبادىء علم الديمغرافية ، مصدر سابق ، ص٢٢٢ .
٤٢. الراوي . منصور ، دراسات في السكان والعمالة ، مصدر سابق ، ص٧٣ وما بعدها .
٤٣. الحسن ، ابو بكر ، ٢٠٠ مليار دولار خسائر ربية من الهجرة العقول ، مصدر سابق ، (انترنت)
٤٤. اهدار الحريات الاكاديمية وهجرة العقول العراقية ، مصدر سابق ، (انترنت).
٤٥. الكورد ، افاق ، هجرة العراقيين ، اسبابها والى متى ستستمر ؟، جريدة افاق الكورد ، العدد ٥٠٠ ، ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ . انترنت .
٤٦. د. علو ، عماد ، هجرة العقول والكفاءات العراقية بين مطرقة العنف وسندان الهجرة ، جريدة المدى / اسم الصفحة :اراء وافكار ، ٦ / اوكست . abdi - aziz (انترنت) .
٤٧. علو ، عماد ، العقول الكفاءات العراقية بين المطرقة والسندان ، مصدر سابق ، (انترنت) .
٤٨. المصدر نفسة .
٤٩. د. حومد ، عبد الوهاب ، ظاهرة الهجرة من الوطن ، مجلة الحقوق – الكويت – العدد الرابع ، ١٩٩٩ ، ص١٦ .
٥٠. الكورد ، افاق ، هجرة العرقيين اسبابها والى متى ستستمر ، مصدر سابق (انترنت) .
٥١. د.الراوي،منصور، دراسات في السكان والعمالة ، مصدر سابق ،ص٨٨-٨٩.
٥٢. اهدار الحريات الاكاديمية ، مصدر سابق ، (انترنت) .
٥٣. انترنت .
٥٤. انترنت .
٥٥. الكورد ، افاق ، هجرة العقول العراقية ، جريدة المدى ، مصدر سابق(انترنت).
٥٦. اهدار الحريات الاكاديمية ، مصدر سابق ، (انترنت) .